المحاضرة الثالثة: البعد الوطني والقومي في الشعر العربي الحديث

مفهوم القومية: **القومية صورة مكبرة عن هذا المجتمع أو ذاك تفرض نفسها على المجتمعات وتدفعها للدفاع عن وجودها، ويأخذ شكلا من أشكال الوحدة ودعوة أبناء المجتمع للدخول تحت خيمتها، وهذا ما ترنو إليه القومية وتنادي به، وما قيام القومية العربية إلا دعوة لقيام الدولة العربية الموحدة.**

القومية العربية: **انطلاقا مما سبق يمكن القول أن العرب أمة واحدة لها مقومات الأمة وهي: أنها تعيش على بقعة جغرافية ممتدة بين منطقتين مائيتين هما الخليج العربي من الشرق والمحيط الأطلسي من الغرب، والحدود السياسية التي نراها اليوم هي من وضع القوى الاستعمارية، وهي بالتالي حدود طارئة، كما أن الشعوب التي تعيش على هذه البقعة الممتدة تتشارك لغة واحدة رغم تنوع لهجاتها وروابط تاريخية وثيقة وعادات وتقاليد متقاربة. ومنه يرى دعاة القومية أنه يجب أن يكون للعرب دولة واحدة، وحكومة واحدة، تقوم على أساس الفكر القومي.**

أسباب ظهور الاتجاه القومي العربي:

**-القرن التاسع عشر كان عصر تفتح القوميات وتحققها في كثير من الدول الأوروبية فكان من الطبيعي أن تسري الأفكار القومية إلى بلاد العرب من عدة طرق(البعثات الثقافية، العلاقات التجارية، النفوذ الاستعماري، مدارس الإرساليات..)**

**-عجز الدولة العثمانية عن تحقيق الإصلاح المناسب للفساد والظلم الذي استشرى في أرجائها، إضافة إلى انتشار نزعة تركية عنصرية حاولت إذابة العرب في بوتقتها(النزعة الطورانية، جمعية تركيا الفتاة العنصرية) ومناوأة كل ما هو عربي.**

**-انتشار أفكار وحركات تدعو للحرية والديمقراطية والمساواة والعدل في الوطن العربي مع رغبة الطبقة المثقفة في الوطن العربي في إقامة دولة تستند إلى دستور عادل وبرلمان يمثل الشعب وإصلاح المجتمع.**

**-تسرب الأفكار الاشتراكية إلى بعض الأوساط العربية وكانت الصحف والمجلات والكتب التي تتناول هذه الأفكار تمزجها بلمحة قومية كما هو الحال في كتابات بطرس البستاني وفرح أنطون وفارس الشدياق وغيرهم**

**- الصبغة العلمانية التي صبغت كثيرا من كتابات القوميين مع عدم معاداة الدين إنما الدعوة إلى أن يكون أساس الوحدة اللغة العربية التي توحد كافة الشعوب العربية واحترام الإسلام دين الأغلبية ومراعاة حرية الأقليات الدينية الأخرى في ممارسة شعائرها.**

أبرز شعراء القومية العربية في نهاية القرن19 ومطلع ال20

**انتشرت الأفكار القومية لدى جماعة من شعراء هذه الحقبة من بينهم: إبراهيم اليازجي(لبنان)، عبد المسيح الأنطاكي(سوريا)، عبد المحسن الكاظمي(العراق)، قسطاسي الحمصي(سوريا)، خليل مطران(لبنان)، فؤاد الخطيب(لبنان)، جميل صدقي الزهاوي(العراق)، فارس وبشارة الخوري(سوريا/ لبنان)، أنيس المقدسي(لبنان) وغيرهم. وقد عانى هؤلاء الشعراء من ظلم الأتراك لأقطارهم وإهمالهم لشؤون العرب ومقاومة كل حركة إصلاحية أو تحررية وقد حز في نفوس هؤلاء الهوان والتخلف الذي أصاب بلاد العرب فأخذوا يناضلون في سبيل ازدهار الأمة العربية منطلقين من المبادئ القومية وانعكس ذلك في أشعارهم إذ نجد صدى واسعا للأحداث والأحوال التي أحاطت بهم من تخلف وظلم.. فقد كان التاريخ العربي المزهر حاديهم إلى حث الأمة على الاستيقاظ من سباتها ومن هؤلاء إبراهيم اليازجي وهو يخاطب العرب بقوله:**

**تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب**

**فيم التعلل بالآمال تخدعكم وأنتم بين راحات القنا سلــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــب**

**أما أنيس المقدسي فقد قال بعد إعلان الدستور العثماني المخيب للآمال عام 1910 واختلاف النخب العربية حول الرد الأنسب:**

**كفوا البكاء على الطُّلول الهُمَّد ليس القضاء على البلاد بمعتدي**

**حتام نربع فوق آثار عـــــــــــــــفت والدهر يدعونا إلى نعم الـــــــــــــــــــــــــــغد**

**...**

**متدافعين مع الزمان تجددا أن الزمان مطية المــــــــــــــــــــــــــــــــــــــتجدد**

**هيا نجدد للبلاد شبــــــــــــــابها متكاتفين على الزمان الأنــــــــــــــــــــكد**

**إن فرق الإيمان بين جموعنا فلساننا العربي خير مـــــــــــــــــــــــــــــــوحد**

**فالشاعر ينتقد الاستسلام السلبي وإلقاء اللوم على الأقدار لأن سبب الركود هو الكسل والخمول وترك النضال من أجل تحصيل الحقوق والاكتفاء بالتغني بالماضي الزاهر. كما اهتم المقدسي بالتنبيه إلى ضرورة نبذ التفرق الديني والمذهبي وفي قصيدة اليرموك يدعو المقدسي إلى استخلاص الدروس من التاريخ ونبذ اليأس إذ بإمكان العرب العودة إلى صدارة الحضارة من جديد:**

**بنو الصحراء هل يصغون أم هم على الفلوات قد باتوا نياما**

**ألا هبوا أحدثكم بمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــجد لكم غشي الجزيرة والشامـــــــــا**

**إلى اليرموك إن تبغوا المعالي وفوق ضفافه فاجثوا احتراما**

**هنا الإسلام ضاء له حسام غداة استل خالد الحسامـــــــــــــا**

**وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى هب الشريف حسين وأبناؤه للوقوف في وجه الدولة العثمانية وكان الحلفاء قد قطعوا له وعدا بمساعدته على إقامة دولة عربية تعيد للعرب أمجادهم فراح الشاعر القروي رشيد سليم يتغنى بهبة الشريف حسين قائلا:**

**عاد الرشيد وعاد باهر عصره سبحان من بعث الحسين لنشره**

**ما بين مكة والشام تنـــــــــــــافس هذي بغوطتها وتلك بذكـــــــــــــــــــــــره**

**ملك على الإسلام أبدى غيرة قرت بها عين الرسول بقبـــــــــــــره**

**نصر المروءة فالمسيح وأحمد يتبادلان التهنئات بنصـــــــــــــــــــره**

**لما رأى الدين الحنيف مهددا ورأى المهدد ممعنا في كفره**

**ورأى العروبة تستعين بربــــــها من جور طوران الغريب وغده**

**لبى فجرد سيفه من غمده بل قل فجرد عزمه من صبره**

**والمقدسي وغيره من شعراء القومية كانوا ينادون بنهضة العرب وتوحيدهم وجعل الخلافة فيهم لذلك فقصيدة الزهاوي النائحة على جماعة من المناضلين أعدمهم جمال باشا في مستهل الحرب العالمية الأولى تصنف ضمن هذا التوجه القومي:**

**على كل عود صاحب وخليل وفي كل بيت رنة وعويـــــــــــل**

**وفي كل عين دمعة مهراقة وفي كل صدر حسرة وغليل**

 **والذي كان يهم الزهاوي هو اتخاذ الشهداء موضوعا لقصيدة قومية ليحرك ضمير الأمة العربية فالدم المراق في بيروت ودمشق يعني كل عربي وهو حلقة من حلقات النضال العربي للتحرر من الظلم والاضطهاد. وعلى هذا النحو كان شعراء هذه الحقبة حاملين للواء النضال ضد الظلم والحرمان الذي وقع على الأمة العربية في أواخر الحقبة العثمانية.**

الاتجاه القومي عقب الحرب العالمية الثانية:

**كانت مرحلة الوعي القومي ما بعد الحرب العالمية الثانية1945 إلى غاية نكسة 67 مرحلة مهمة من مراحل الوعي القومي العربي حيث بدأ الوعي القومي ينتقل من مجال الاجتهاد النظري والدعوة إلى القومية العربية إلى محاولة التجسيد العملي في شكل تجارب وحدوية وقد كان هذا الانتقال من مجال النظرية إلى مجال التطبيق ضروريا لتأكيد الافتراضات النظرية وجعل الأيديولوجيات القومية حقيقة قائمة يعيشها الإنسان العربي.**

**وقد كانت القضية الفلسطينية من أهم القضايا التي شغلت الحس القومي العربي وجمعت شمله حول قضية محورية كانت ولا تزال أم القضايا العربية يقول السياب في قصيدة في يوم فلسطين(1948):**

**اليوم يحطم كل شعب ثائر سود القيود بضحكة استهزاء**

**والقدس ما للقدس يمشي فوقها صهيون بين الجمع والأشلاء**

**يا أخت يعرب لن تزالي حرة بين الدم المسفوك والأعداء**

**كما رافق الشعر القومي النضال العربي ضد الاستعمار والعدوان الغربي على الأراضي العربية كما هو الحال في العدوان الثلاثي على مصر حيث يقول الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي في قصيدة بور سعيد1956:**

**على رخام الدهر، بور سعيد**

**قصيدة مكتوبة بالدم والحديد**

**قصيدة عصماء**

**قصيدة حمراء**

**تنزف من حروفها الدماء**

**تطل من أبياتها بنادق الأنصار**

**وأعين الصغار**

**على جبين شمس بور سعيد**

**ومن القضايا المحورية التي شغلت شعر القوميين العرب القضية الجزائرية التي أسالت من حبر الشعراء العرب الكثير كما سبق أن بينا في درس سابق.**

الاتجاه الوطني في الشعر العربي:**الحس الوطني شعور فطري طبيعي يربط كل إنسان بالأرض التي ولد فيها وما يميزها من طبيعة و من يسكنها من بشر. إنه الشعور الفطري بالانتماء وهو اتجاه ظهر في نفس الوقت والظروف التي نشأ فيها الاتجاه القومي بل إن التعارض بين الاتجاهين يكاد يكون ضئيلا إلا في حالات خاصة حيث تطغى النزعة القطرية(الوطنية) على أي انتماء أشمل( القومية).**

**وقد نشأت في البلاد العربية نزعات إقليمية كالفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان والسورية في الشام والتونسية في تونس وكلها ترمي إلى استقلال وتميز الكيان الذي تنتمي إليه ليكون دولة عصرية ذات نظام ومؤسسات. وقد كانت النزعة الفرعونية سباقة إلى الظهور وقد رافقها شاعر كبير تغنى بها وبأمجادها وهو الشاعر احمد شوقي في عدد من قصائده منها: كبار الحوادث في وادي النيل، على سفح الأهرام، أبو الهول، توت عنخ أمون. أما سائر النزعات الوطنية الإقليمية فكانت تظهر في قصائد المهجريين الذين راحوا يحنون إلى ربوع لبنان وسوريا. أما بعد ظهور حركات التحرر في الأقطار العربية فنجد تنوعا أكبر في القصائد التي مجدت النضال ضد المحتل وتغنت بحب الوطن والتوق إلى تحرره واستقلاله في شتى ربوع الوطن العربي.**

 **يمكن في سياق الشعر الوطني أن نقتصر على نموذج شوقي لسبقه وتغلل النزعة المحلية المتمثلة في الاعتزاز بالحضارة الفرعونية في شعره ومن ذلك قصيدة أبو الهول:**

**أبا الهول طال عليك العصر وبلغت في الأرض أقصى العمر**

**فيا لدة الدهر لا الدهر شب ولا أنت جاوزت حد الصـــــــــــــــــــغر**

**فالشاعر يتخذ من أبي الهول رمزا لعراقة الحضارة المصرية وشموخها رغم تقادم العصور فهو رمز الأبدية والبقاء والقوة والعزة ويستمر الشاعر عقب تغنيه بأبي الهول في سرد تاريخ مصر وحلقاته المتعاقبة وصولا إلى الفتح الإسلامي ليختم القصيدة بنشيد وطني يدعو إلى النهوض وصنع واقع مجيد على غرار الماضي الذي تغنى به الشاعر سابقا:**

**اليوم نسود بوادينا ونعيد محاسن ماضينا**

**ويشيد العز بأيدينا وطن نفديه ويفدينا**

**نتخذ الشمس له تاجا وضحاها عرشا وهاجا**

**وسماء السؤدد أبراجا وكذلك كان أوالينا**

**العصر يراكم والأمم والكرنك يلحظ والهرم**

**أبني الأوطان ألا همم كبناء الأول يبنبنا**

**سعيا أبدا سعيا لأثيل المجد وللعليا**

**ولنجعل مصر هي الدنيا ولنجعل مصر هي الدنيا**